شبكة الإمام الآجري

محاضرة بعنوان

حبل الله الممدود

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق عبد المحسن العباد

-حفظه الله تعالى-

فرغها واعتنى بها

طالبات مركز رياض الصالحين - دبي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هاديه له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فهذه أمسية طيبة وساعة كريمة في هذه الليلة الفاضلة من ليال شهر رمضان المبارك ، ومع موضوع جليل القدر ، عظيم الفائدة ، كبير النفع ، له صلة بشهرنا الكريم وموسمنا الفاضل ، وعنوان هذا اللقاء حبل الله المدود.

وقبل الدخول في موضوع هذه المحاضرة أقدِّر وأشكر للإخوة الكرام القائمين على واحة الإيمان في القصباء ، جهدهم المبارك وسعيهم المشكور وكريم رغبتهم في أن أشارك في هذا اللقاء وهذا البرنامج الذي في ما نسمع ونعلم تبذل فيه جهود كبيرة لاستثمار وقت هذا الشهر ولياليه المباركة في علم نافع و فوائد عظيمة تعود على الناس بالخير والفائدة ، ويطيب لي كذلك أن أشكر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة على رعايته الكريمة لهذه الواحة الإيمانية الطيبة النافعة ، وكذلك دعم دائرة الشؤون الإسلامية في الشارقة ممثلة

برئيسها الشيخ صقر بن محمد القاسمي ، وأيضًا أشكر الشيخ الأستاذ مروان السركال وإخوانه في قناة القصباء ، وأشكر أيضا إخواني الحضور حضورهم وأسأل الله – عز وجل – أن يمدنا جميعاً بالعلم النافع والتوفيق لما يحبه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الاعمال .

موضوع هذا اللقاء أيها الإخوة الكرام حبل الله الممدود ، وهذا العنوان من اختيار الإخوة القائمين على هذه الواحة الإيمانية ، وأعظم ما يكون في واحة الإيمان تغذية لها ، ومداً لثمارها وفروعها وآثارها كتاب الله الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وحبل الله الممدود الذي هو عنوان هذه المحاضرة هو كتاب الله – جل وعلا – القرآن الكريم وقد جاء تسميته بهذا الاسم في السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري– رضي الله عنه– أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " كتابُ الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض " ، وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد ابن أرقم أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال :" ألا و إني تاركٌ فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله – عز وجل– ووهو حبل الله المتين من أتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة " .

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد على شرط مسلم من حديث أبي شريح الخزاعي – رضي الله عنه– أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال : " أبشروا أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله و أني رسول الله ، قالوا : نعم ، قال : فإن هذا القرآن سببٌ– أي حبل – طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تضِلوا ولن تهلِكوا بعده أبداً " .

معاشر الإخوة الكرام ، يأتي هذا الموضوع العظيم بهذا العنوان– حبل الله الممدود – في هذه الأيام المباركات أو الليالي المباركات ليال شهر رمضان المبارك ، وكلنا نعلم أن شهر رمضان له خصوصية بالقرآن الكريم ، يقول الله – جل وعلا– : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185] ويقول – جل وعلا– ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: 3] و يقول – جل وعلا – : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: 1-3] ،فالقرآن الكريم أنزل في شهر رمضان وهو أعظم كتاب أنزله الله – سبحانه وتعالى– على أعظم رسول في أفضل شهر وفي أفضل ليلة ، فليلة القدر هي خير ليالي السنة على الإطلاق وهي الليلة التي أنزل فيها القرآن والمراد بإنزاله أي إلى بيت العزة في السماء الدنيا ؛ لأن القرآن نزل جملة واحدة في

ليلة القدر إلى بيت العزة ثم نزل منجّماً خلال عشرين سنة بحسب الأمور والأحوال والوقائع والحوادث ونحو ذلك ، كما جاء بذلك الأثر عن ابن عباس – رضي الله عنهما– وعن غيره في تقرير هذا المعنى .

وهذا يبين لنا أن شهر رمضان المبارك له خصوصية في القرآن ، ولهذا كان جبريل يأتي نبينا– صلى الله عليه وسلم– في هذا الشهر ويدارسه القرآن وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان أجود الناس وكان أجود مايكون في رمضان حينما يأتيه جبريل يدارسه القرآن ، ولهذا أيضا كانت عناية السلف بالقرآن تعظم في هذا الشهر شهر القرآن وموسم القرآن ، وكانوا يتنافسون على ختم كتاب الله –عز وجل– في هذا الشهر الفاضل مرات عديدة مع التدبر لآياته ، والتأمل في دلالاته ، ومجاهدة النفس على العمل بهذا الكتاب العظيم كتاب الله – جل وعلا – .

والقرآن أيها الإخوة الكرام، كتاب أنزله الله – تبارك وتعالى –هداية للبشرية ، وصلاحاً للناس ، و ذكرى للمؤمنين ، وشفاءً لما في الصدور ، وضياءً ونوراً وبركة لمن كان من أهله ، قال الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 29] وقال – جل وعلا– : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ [الإسراء: 9] .

وهذا الكتاب العظيم أنزله الله– تبارك وتعالى– لعباده ليكون منهجًا لهم في حياتهم في أخلاقهم ، في آدابهم ، في معاملاتهم ، في تعبدهم وتقربهم إلى الله – سبحانه وتعالى– ، ولهذا لما سُئِلت أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها –عن خلق نبينا – صلى الله عليه وسلم– قالت : "كان خلقه القرآن" ، ومعنى كلامها– رضي الله عنها وأرضاها – كان خلقه القرآن أي أن كل ماتراه في القرآن من عبادة وخلق وأدب ومعاملة إلى غير ذلك ، كل ذلكم اتصف به نبينا –عليه الصلاة والسلام– على التمام والكمال، فكان أعبد الناس لله ، وأكثرهم لله خشية ، و أعظمهم تقوى لله– سبحانه وتعالى – و أكملهم خلقًا ، وأحسنهم أدبًا ، وأطيبهم معاملة وكل مافي كتاب الله –عز وجل– من عبادة وخلق وأدب وغير ذلك أتى به وتممّه وكمّله صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا القرآن هو زاد المؤمنين ، وروح قلوبهم وغذاء نفوسهم بل إن حياة الإنسان الحقيقية لاتكون إلاّ بالقرآن الكريم ، لايحيى العبد حياة حقيقة إلا بهذا الكتاب العظيم ، الكتاب المبارك ، ولهذا سمى الله – جل وعلا – كتابه روحًا في غير ما آية

قال سبحانه : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: 52] ، وقال – جل وعلا – في أوائل سورة النحل ، سورة النِعم كما يسميها بذلك أهل العلم؛ لكثرة ما عدد الله فيها من نعمه، بدأ الله سورة النِعم بقوله : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ [النحل: 1-2] ، سمى ربنا- جل وعلا – وحّيه الحكيم وذكره العظيم والقرآن الكريم، سماه روحـًا ، لماذا ؟ لأن حياة القلوب الحقيقية إنما تكون بهذا القـرآن بل سمي جبريل – عليه السلام –الذي ينزل بالوحي سمي أيضًا الروح، نزل به الروح الأمين ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ- أي جبريل – فِيهَا ﴾ [القدر:4] ، سماه روحـًا لأنه نزل بالقرآن الذي به حياة القلوب ، ويجب على كل واحد منا أن يعلم أن حياته الحقيقة في هذه الدنيا وفي الآخرة بحسب حظه ونصيبه من هذا الكتاب المبارك علمـًا وعملاً وتطبيقـًا .

ولهذا يقول الله – جل وعلا – في سورة الحديد ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ، اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: 16-17] تأمل أخي رعاك الله قول الله – عز وجل – : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ذكر هذا سبحانه عقب قوله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أتبع هذا بإخباره سبحانه وتعالى أنه يحيي الأرض بعد موتها قال إن في ذلك لآيات لعلكم تعقلون فيها آيات عظيمة ، آيات جليلة أي كما أن الأرض الميتة تحيا بالماء إذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت وأنزلت من كل زوج بهيج فكذلك القلوب لايمكن أن تحيا إلا بالقرآن لايمكن أن تدب فيها الحياة وأن تذوق طعم الحياة وأن تتلذذ بسعادة الدنيا والآخرة إلا بهذا القرآن، وبدون القرآن والعمل به يعيش الإنسان في هذه الحياة عيشة بهيمية ليست عيشة حقيقية ولهذا يقول الله : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾[طه:123] نفي الضلال فيه إثبات الهداية ونفي الشقاء فيه إثبات السعادة ، فمن أراد لنفسه هداية وسعادة فعليه بالقرآن ويقول – جل وعلا– : ﴿طه، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[طه:1-2] ، أي إنما أنزلناه عليك لتسعد، وقد قيل في بعض كتب التفسير أن جماعة من المشركين قالوا في حق نبينا– صلى الله عليه وسلم –وأصحابه، قالوا إن الله أنزل عليه هذا القرآن ليشقى به هو وأصحابه ، فقال الله ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

﴿[طه: 2] ، أي إنما أنزلنا عليك القرآن لتسعد ، ولهذا ، السعادة الحقيقية وهناءة العيش وذوق واحة الإيمان وحلاوة الدين إنما يكون ذلك بالقرآن الكريم كتاب ربنا- سبحانه وتعالى- .

ولهذا جاء في القرآن آيات عديدة فيها أمر الله سبحانه عباده بتدبر هذا القرآن حتى يذوقوا حلاوته؛ لأنه لا يذوق حلاوة القرآن و لاينتفع به إلاّ من تدبر آياته ، وعاقل مضامينه ، وفهم معانيَه ، ولهذا يقول إمام المفسرين وشيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله يقول كلام معناه كيف يذوقوا حلاوة القرآن من لا يفهم معناه !

ولهذا جاء في القرآن آيات كثيرة فيها الأمر بتدبر القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾[النساء: 82] ويقول - جل وعلا- : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[الأنفال: 24] ويقول - جل وعلا- : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 29] وأخبر- سبحانه وتعالى- أن سبب ضلال من ضل وهلاك من هلك وضياع من ضاع؛ البعد عن القرآن وعن تدبره ، وبين الله- سبحانه وتعالى- أن هؤلاء وأمثالهم لو تدبروا القرآن لوجدوا فيه شفاء الصدور وصلاح القلوب وسعادة الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى

أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ، مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ، أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 66-68] قال أفلم يدبروا القول ! أي لو أنهم تدبروا القول وعقلوا معناه وفهموا دلالاته لما حصل لهم هذا النكوص على الأعقاب ، ولما حصل لهم هذا الضلال والضياع والفساد!! وهذا يدلنا دلالة بينة أن ضياع الإنسان وفساده وضياعه وانحرافه وزيغه بحسب بعده عن هذا الكتاب العظيم وهذه الواحة الإيمانية المباركة التي فيها سعادة العبد في دنياه وآخراه.

وقد سمى الله – عز وجل – القرآن الكريم في مواضع عديدة، سماه ذكرى ، ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ [الطلاق: 10] ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [ص: 1] سماه بهذا الاسم لماذا ؟ لأن القرآن فيه ذكر خبر من قبلنا ، و نبأ مابعدنا ، فيه ذكر أسماء ربنا -سبحانه وتعالى- وأوصافه ، فيه ذكر الجنة والنار ، فيه ذكر الأحكام والأوامر والنواهي، فيه ذكر القلوب ، فيه ذكر مافيه فلاح العبد وصلاحه في دنياه وآخراه ، وإذا كان القرآن سمّاه ربنا – جل وعلا- في مواضع عديدة ذكرى فإن من ابتعد عن القرآن الكريم كان من الغافلين ! ولا يكون العبد بعيداً عن الغفلة سالماً منها إلاّ إذا كان له حظٌ ونصيبٌ من هذا الكتاب المبارك الذي فيه حياة القلوب وذكر العالمين وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

وقد وصف الله – عز وجل – هذا القرآن بأنه لو أنزله الله على جبل لتصدع ، قال الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ [الحشر: 21] الجبل الأصم لو أنزل عليه هذا القرآن لتصدع من خشية الله ، ثم تكون كثير من القلوب ، تلك المضغة الصغيرة تكون أقسى عياذًا بالله –تبارك وتعالى– من الجبل ترد عليها زواجر القرآن و قوارع القرآن ومواعظ القرآن وتذكير القرآن ولا يتحرك فيها ساكنـًا بل تبقى على قسوتها فهي كالحجارة أو أشد قسوة – عياذاً بالله – ، ولهذا ذكر القلوب ويقظة النفوس وصلاحها إنما يكون بارتباط العبد بهذا القرآن عندما يكون القرآن ربيعـًا للقلب يحيا معه العبد حياة جميلة حياة هنيئة حياة سعيدة ، وفي الدعاء المأثور دعاء طرد الهم والغم المأثور عن نبينا – عليه الصلاة والسلام – قال :" أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أول أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي " ، و تأمل أخي وفقك الله هذه المعاني التي هي ثمار القرآن و آثاره ، قال أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري ، لما ذكر القلب قال: "ربيع قلبي" ولما ذكر الصدر: قال "نور صدري" ؛ لأن الصدر محيط بالقلب فإذا أضاء الصدر انعكس ضياءه على كل ما

في داخله ، ولما ذكر القلب ذكر الربيع ؛ لأن القلب هو منبع الفضائل عندما يوفق للصلاح والزكاة ، " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"، وهذا فيه إشارة لطيفة إلى أن القلب عندما يصلح بالقرآن يكون ربيعًا والربيع يثمر أطايب الثمر وأجمل الزهور وأحسن الورود وأبهى الروائح يصبح ربيعًا، قال :"وأن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني" ، وهذه فائدة عظيمة من فوائد القرآن أن جلاء ما يكون في القلب من أحزان وآلام وهموم وغموم، إنما يكون بهذا الكتاب العظيم ، الذي هو في الحقيقة كتاب السعادة : ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ [طـه: 2] ، ولا يمكن أن تسعد بالقرآن بمجرد وضعه مزخرفًا في رفٍ في البيت أو في موضع جميل ، لايمكن أن يذوق الإنسان السعادة التي تستمد من هذا الكتاب بهذا ، ولايمكن أن يذوقها بمجرد هـّذيه قراءته بدون تدبر ولا تعقل ولا تفهم ولا عملٍ بهذا الكتاب ، بل سعادة القرآن و حلاوة القرآن وهناءة العيش المحصلة بالقرآن الكريم إنما تكون بتدبر القرآن وتعقل معانيه والعمل بما فيه .

ولهذا قال – غير واحد من أهل العلم – في معنى قوله– سبحانه وتعالى– : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [البقرة: 121] ، متى يكون

العبد تالياً لهذا القرآن حقّ التلاوة ؟ قالوا بثلاثة أمور : الأمر الأول : قراءة القرآن و حسن ترتيله و حفظ ما تيسر منه ، الأمر الثاني : التدبر و فهم الخطاب ، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص: 29] ، ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾[الأنفال: 24]، ويكون همه وهو يتلوا القرآن ليس متى أختم السورة ؟ متى أنتهي من التلاوة ؟

وإنما يكون همه وهو يتلوا القرآن متى أعقل عن الله الخطاب ؟ متى أفهم كلام الله ؟ متى يتأثر قلبي بالقرآن ؟ متى أعمل في القرآن ؟ متى أكون من الصادقين الموصوفين بذلك في القرآن؟ من التوابين من المنيبين من الذاكرين من المصلين من القانتين من المتصدقين إلى آخره متى أكون كذلك؟ يقرأ وهو يجاهد نفسه على هذه المعاني ، لا يكون همه وهو يقرأ متى أختم ! بل يكون همه وهو يقرأ متى أعقل ، متى أفهم ، متى أتأثر بالقرآن الكريم ؟ ، ولهذا قال ابن القيم – رحمه الله – في بعض كتبه : قراءة آية بتدبر خيرٌ من ختمه بدون تدبر ، آية واحدة تقرؤها وتتدبرها وتداوي بها نفسك وتتأمل في معانيها .

ولهذا كان بعض السلف يقوم الليل في آيةٍ واحدة ، نبينا –عليه الصلاة والسلام– قام ليلة بآية واحدة ، وجاء في الصحيح أنه ذكر له رجل قام ليلة بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد

﴿[الإخلاص:1] وكأن السائل الذي يخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- يتقال ذلك ، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم -: " والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن ".

فعندما يتدبر الإنسان ويتأمل ولو آية واحدة تعيش معها ليلة تداوي بها نفسك، تعالج بها مرض قلبك ، تقوي بها إيمانك ، تقوي بها توكلك، تقوي بها صدقك مع الله ، صلتك بالله - تبارك وتعالى- خيرٌ لك من أن تمضي هذّاً بدون عقل وبدون فهم،فالأمر الثاني التدبر ، والأمر الثالث العمل بالقرآن الكريم .

قال الحسن البصري – رحمه الله تعالى- :" أنزل هذا القرآن ليعمل به،فاتخذ الناس قرآئه عملا" ، الذي أنزل لأجل القرآن أن نعمل به، أن نكون من أهل القرآن، ولا يمكن أن يكون العبد من أهل القرآن بمجرد حفظ حروفه أو تلاوة آياته وسورة فقط، بل لابد من الفهم للمعاني، ولابد من العمل بهذا الكتاب العظيم، وقد تحدث الإمام الحسن البصري- رحمه الله- عن بعض قراء زمانه وأنتم تعلمون أن الحسن البصري -رحمه الله تعالى- من كبار العلماء التابعين من أهل القرن الذي يلي قرن الصحابة، فكان يتحدث عن جماعة من القراء في زمانه، يقول:" يقول أحدهم قرأت القرآن كله ولم أسقط منه حرفًا - مقصوده ضبطه للتلاوة، للمخارج، للترتيل،

اتقان الحفظ لا يسقط منه حرفـًا - يقول أحدهم قرأت القرآن كله ولم أسقط منه حرفـًا، وقد أسقطه والله كله لا يرى عليه القرآن لا في خُلقٍ ولا عمل" ثم قال الحسن: "إذا كانت القراء مثل هذا لا كَثَّرَ الله في الناس مثل هؤلاء، ما هؤلاء يقول بالقراء ولا العلماء ولا الورعه، لو كانت القراء مثل هؤلاء لا كَثَّرَ الله في الناس مثل هؤلاء".

ليس تلاوة القرآن بمجرد القراءة أو الحفظ لحروفه، بل لا بد من التدبر ولا بد أيضـًا من العمل، والعمل بالقرآن يسمي تلاوة، العمل بالقرآن الكريم يسمى تلاوة من تلاوة القرآن أن تعمل، إذا صلينا صلاتنا هذه تلاوة للقرآن، إذا صمنا صيمنا هذا تلاوة للقران ،إذا صدقنا إلى غير ذلك من الأعمال هذا يعد تلاوة للقرآن، تلاوة للقرآن بمعنى اتباع و عمل والله – عز وجل- يقول في القرآن:" والقمر إذا تلاها"يعني تبعها، الاتباع من معنى التلاوة ، فاتباع القران يعد تلاوة للقران ، والقرآن إنما أنزل لأجل ذلك، لأن يعمل به العبد ، تقرأ القران تمر بك أوصال وتمر بك أوامر وتمر بك نواهي وتمر بك زواجر وتمر بك قوارع وتمر بك مواضع وتمر بك تذكيرات وتمر بك مصائر ما حظك منها؟؟ وما تنصيبك منها؟؟ أوامر الله

في القرآن التي تقرأها وتمر عليها وتتلوها ما حظك منها؟ نواهيه – جل وعلا– ما نصيبك منها ؟وما حظك منها؟

يقول ابن مسعود – رضي الله عنه– "إذا سمعت الله يقول {يا أيها الذين أمنوا} فأرعها سمعك فإنه إما خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه"

أما إذا كنت لا ترعها سمعك وتمر وكأن الأمر لا يعنيك، وكأن الخطاب لغيرك متى يستفيد الإنسان للقرآن؟ ومتى يكون للقرآن الأثر عليه؟

ولهذا يحتاج من هذا المقام من العبد إلى مجاهدة لنفسه على تحقيق هذه المعانى الثلاثة لتلاوة القرآن الكريم، بحسن القراءة والحفظ والتلاوة للقران وبحسن التأمل والتدبر والفهم لمعاني القرآن وبالعمل بالقران الكريم، و وقد مر معنا قول أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها – لما سألت عن خُلُقِ نبينا– صلي الله عليه وسلم – قالت: "كان خلقه القرآن"، ثم إن هذا القرآن وصفه الله – سبحانه وتعالى –بأنه شفاء لما في الصدور: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[الإسراء:82] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[فصلت:44] ، ويقول – جل وعلا– : ﴿شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[يونس:57]

القران شفاء يقول قتادة- رحمه الله-: " هذا القرآن فيه ذكر الداء وذكر الدواء ، أما الداء فالذنوب وأما الدواء الاستغفار".

القرآن شفاء لكن متى يحصل الاستشفاء بالقران؟ متى يتحقق لك التداوي فعلا بالقران؟ متى تكون تداوي قلبك بالقرآن؟ الأمراض التي تكتلف القلوب وتُسقِم الصدور وترهق القلوب وتأذي النفوس متي يتخلص منها العبد؟ وكيف يستشفي من هذه الأمراض بكتاب الله – سبحانه وتعالى-؟

والأمراض التي تصيب القلب كثيرة ،لكنها ترجع إلى نوعين: مرض الشهوة ،ومرض الشبه، أمراض الشهوات و أمراض الشبهات ، ودواء المرضين الناجح والبلسم الشافي لهما في القرآن الكريم .

القرآن الكريم فيه مداوات القلوب شفاء لما في الصدور، لكن متى يشفى الصدور من أمراضه وأسقامه؟ وكيف يتحقق للعبد التداوي بهذا القرآن العظيم؟ وهل يمكن أن يتحقق للقلب شفاء بالقرآن وواقع القرآن مع الانسان أنه لا يتجاوز تراقيه، يتحرك به لسانه فقط أما قلبه فمحروم منه؟ لا يمكن بل لا بد أن يصل القرآن إلى القلب، لابد أن يتحرك القلب مع آيات القران مع معاني القران مع دلالات القرآن مع مضامين القرآن مع مواعظ القرآن مع تذكيرات القرآن، لابد أن يتحرك القلب

بذلك حتى تتحرك فيه الحياة، وحتى تزول عنه الأمراض، و حتى تزول عنه الاسقام، ولهذا قدمت لو كان في الإنسان مثلا مرض في قلبه ،أحيانا يشتكي بعض الناس من مخاوف أوهام ، يخاف من أوهام ويقول أنا فليل أفزع، أو أنا كذا، أو إذا مشيت في كذا أخاف من كل شي، أخاف من كذا ،أتوقع تجد قلبه فيه مخاوف غير طبيعيه، أوهام يعيش معها ، ووساوس تُعِل قلبه وتمرضه، مثل هذا يناسب أن يداوي نفسه ويتأمل ولو آيه واحده في مشكلته في مرضه يداوي نفسه بهذه الآية، مثلا يقرأ قول الله – سبحانه وتعالى- : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:185] يكرر الآيه حتى يمتلىء قلبه خوفاً من الله ويذهب عن قلبه المخاوف التي يلقيها و يزرعها الشيطان في قلبه، إذا وجد من نفسه الضعف في التوكل على الله، يردد﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: 3] ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: 23] ، إذا وجد في نفسه ضعف في إيمانه يردد آيات يداوي بها نفسه و يحاول أن تصل هذه الآيات في قلبه وأن تتمكن، و الآية إذا و صلت القلب حصل الشفاء، الآية إذا وصلت القلب و تمكنت منه حصل الشفاء تحقق الثواب بإذن الله – تبارك وتعالى- ولهذا خَلْقٌ كثير لايحصيهم إلا رب العالمين – سبحانه وتعالى -زالت أمراضهم و شفيت

أسقامهم، بعضهم بآية واحدة سمعها و زلت منه مرضه، أحيانا يكون مرضه الكفر بالله – سبحانه وتعالى– فيتحول إلى إسلام ،أحيانا يكون مرضه النفاق فيتحول إلى الإيمان، أحيانا يكون مرضه الفسق و الفجور والمعاصي و الأثام فيتحول إلى استقامه وهدايه و صلاح و عبادة لله – تبارك وتعالى– .

والقصص في هذا كثيرة جداً كثيرة جداً كثير من الناس تتحدث أن هدايته بسبب آية تجد سمعها و أخذ يرددها يجيلها في نفسه تتكرر في قلبه ،حتى جعل الله – سبحانه و تعالى– فيها هدايته وصلاحه.

الفضيل بن عياظ من أئمة التابعين، أمضى أربعين سنة من حياته وهو معدود في كبار المجرمين معدود في كبار المجرمين، كان قاطع طريق، وكانت القافة بكاملها تخافه إلى أن بلغ الأربعين، وليله من الليالي أتى إلى البيت، كما ذكر في ترجمتة في سير أعلام النبلاء وغيره، أتى إلى بيته يتسور البيت على عادة في أجرامه وعدوانه يتسور البيت و هو يتسور البيت، إذا بصاحب البيت كان يقرأ القرآن في سورة الحديد و صل إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد: 16]سمع الفضيل هذه الآية و

دخلت قلبه، و تأثر من لحظته تأثراً عظيما، و قال في ساعته : "بلى" ، أجاب ألم يأني قال بلى جاء الوقت التي تخشع القلوب لذكر الله و نزل وعاهد نفسه أن يهاجر إلى مكة و أن يبقى فيها عابداً لله فيها إلى أن يموت، و ذهب إلى مكة، آية واحدة حولت مساره إلى أجرام إلى عابد من العباد وصالح من الصالحين و من المساعدين، و بدء يرتب و ذهب إلى مكة وبقى فيها عابداً إلى أن توفاه الله- سبحانه وتعالى-، و في مكة يأتي العلماء و المحدثون و يتلقى عنهم العلم ويأخذ عنهم الفقه و يحفظ منهم الأحاديث، ولا تفتح الآن كتاب من كتب التفسير أو كتاب من كتب الفقه أو حديث أو غيرها إلا و تجد النقول العظيمه عن هذا الإمام، قال الإمام الفضيل رحمه الله آية واحده غيرت حياته .

ولهذا أن ينبغي عن الإنسان أن يتفكر في أمراضه في أسقامه في مشاكله، ويبدأ يداوي نفسه بالقرآن، مثلاً يكون الإنسان مبتلى بعض الناس يشتكي من أنه نضره يزيق، نفسه تتطلع للنظر للنساء، وربما يقصد أماكن فيها نساء للنظر وهو مبتلي بذلك وتتحرك في أمور هو في صراع نفسه في الخلاص داوي نفسه بآيه ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور: 30] يكررها الإنسان ويتأمل فيها ويحاول أن تصل إلى قلبه إذا وصل إلى

قلبه حصل الشفاء، المشاكل كلها تتأتي بسبب عدم وصول القرآن للقلب، إذا وصل القرآن للقلب حصل الشفاء فيبدأ يجاهد نفسه حتى يصل القرآن إلى قلبه، ويتفقد نفسه في أخطائه في مخالفاته، إذا كان متهاون في الصلاة مقصر يقرأ آيات تذكره بمكانة الصلاة بمنزلتها يرددها ويسأل ربه – تبارك وتعالى- أن يجعله من أهلها وبهذه الطريقة يحيا قلبه – بإذن الله –بهذا الكتاب العظيم كلام رب العالمين.

فهذه طريقه نافعه عظيمه جداً بالمداواة بالقرآن ولعل كل واحد منا يستعين بالله – تبارك وتعالى- ويبدأ بذلك مع نفسه إذا كان الإنسان في عقوق لوالديه إذا كان العقوق لوالديه وتقصير في حقهما يقرأ:"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عنده الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقلهما قولاً كريما وخفظ لهما جناح الذل من الرحمه وقل ربي أرحمها كما ربياني صغيرا". لا يقرأها ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه يقف، إذا كان عنده تقصير يقف، ويتأمل ويتدبر، ويستعين بكتب التفسير ،كلام أهل العلم وإذا وصلت الآية للقلب حصل الشفاء، إذ وصلت للقلب وتمكنت من القلب حصل الشفاء بإذن الله- تبارك و تعالى- هذه معنى قول الله- عز وجل- وشفاء لما في الصدور أما مجرد التلاوة والهَد وعدم التدبير وعدم التعقل لكلام الله ولمعاني القرآن الكريم، فهذا لا يتحقق

به الفائدة المرجوة والثمرة المطلوبة التي ينبغي أن يغفر بها العبد مع هذا الكتاب العظيم المبارك كتاب الله -سبحانه وتعالى-.

الكلام عن القرآن وفضله وثماره وأثاره، و أيضـًا الآداب التي ينبغي أن يكون عليها العبد المؤمن، الحديث في هذا واسع وأنا تأخرت عليكم بالمجيء؛ بسبب الرحله ونعتذر حقيقةً أشد الأعتذار من الأخوة القائمين على الواحة ومن الأخوة الحضور يعني أمراً ليس باليد لكن قدر الله - عز وجل- وما شاء فعل، وكثرة الكلام ينسي آخره أوله، فلعل في هذا الكلام الذي سمعناه خير لنا ونفع وفائدة بإذن ربنا- تبارك وتعالى-.

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبأنه الله الذى لا إله إلا هو أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، وأن يجعلنا جميعـًا من أهل القرآن االذين هم أهل الله وخاصته، وأن ينفعنا بالقرآن، وأن يجعل القرآن حجه لنا لا علينا، وأن يوفقنا لتدبره على الوجه الذي يرضيه وللعمل به، وأن يجعلنا من أهل السعادة من أهل الغنيمه من أهل الفوز في الدنيا والآخرة، وأسأله -جل وعلا- أن يصلح لنا جميع ديننا الذي وعصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا

التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير و الموت رحةً لنا من كل شر، وأسأله – جل وعلا– أن يصلح ذات بيننا ،وأن يألف بين قلوبنا وأن يهدينا سبيل السلام، وأن يخرجنا من الظلمات إلى النور وأن يبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وأزواجنا وذرياتنا وأموالنا و أوقاتنا، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا.

وأسأله– جل وعلا – أن يجعلنا جميعنـًا من عتقائه من النار في هذا الشهر الفضيل فإن لله –سبحانه وتعالى – عتقاء من النار وذلك في كل ليله من ليالي رمضان، اللهم أصلح لنا شأننا كله واغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآحياء منهم و الآموت إنك أنت الغفور الرحيم ،والله تعالى أعلم وصلى اللهم وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

...تم بحمد الله تعالى...